الأزمة الصومالية في العلاقات المصرية السعودية

(١٩٦٠ - ١٩٨٠ م)

أ.د. حمادة وهبه مسعد أحمد غنا (*)

الملخص

يتناول هذا البحث في الأزمة الصومالية في العلاقات المصرية-السعودية (١٩٦٠-١٩٨٠م)، من خلال تحليل الأهمية الاستراتيجية للصومال في القرن الإفريقي خلال تلك الفترة، بالنظر إلى موقعه الحيوي المطل على مضيق باب المندب وما يمثله من محور رئيسي في معادلات الأمن الإقليمي والدولي ضمن سياق الحرب الباردة. ويركز البحث على تتبع مسار العلاقات المصرية-السعودية في ضوء التطورات الصومالية، مع إبراز نقاط التوافق والتباين في سياسات الدولتين تجاه الصومال، لاسيما إبان محطات مفصلية مثل انضمام الصومال إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٧٤، وحرب الأوجادين ضد إثيوبيا (١٩٧٧-١٩٧٨). ويعتمد البحث على مزيج من المناهج التاريخية-التحليلية والمقارنة والوثائقية، لاستكشاف التداخل المعقد بين العوامل السياسية والأمنية والإقليمية والدولية التي أسهمت في صياغة مواقف القاهرة والرياض، بهدف استخلاص الدروس المستفادة لتعزيز آليات التنسيق العربي في منطقة القرن الإفريقي.

الكلمات المفتاحية:

الصومال، العلاقات المصرية-السعودية، القرن الإفريقي، حرب الأوجادين، الحرب الباردة، الأمن القومي العربي، باب المندب.

(*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

Abstract:

This research examines the Somali crisis within the framework of Egyptian–Saudi relations (1960–1980) by analyzing Somalia’s strategic significance in the Horn of Africa during this period. Particular attention is given to its pivotal location overlooking the Bab el-Mandeb Strait, a critical artery in regional and global security calculations during the Cold War. The study traces the evolution of Egyptian–Saudi relations in light of Somali developments, highlighting both convergences and divergences in their policies toward Somalia, especially during key junctures such as Somalia’s accession to the Arab League in 1974 and the Ogaden War against Ethiopia (1977–1978). Employing a multidisciplinary approach that integrates historical–analytical, comparative, and documentary methods, the research explores the intricate interplay of political, security, regional, and international factors that shaped the positions of Cairo and Riyadh, with the ultimate aim of drawing lessons to strengthen Arab coordination mechanisms in the Horn of Africa.

Keywords :

Somalia, Egyptian–Saudi relations, Horn of Africa, Ogaden War, Cold War, Arab national security, Bab el-Mandeb.

مقدمة:

تحتل منطقة القرن الإفريقي، بما فيها الصومال، مكانة استراتيجية بالغة الأهمية في معادلة الأمن الإقليمي والدولي، نظرًا لإشرافها على واحد من أهم الممرات المائية في العالم، وهو باب المندب، الذي يربط بين البحر الأحمر وخليج عدن، ويشكل شريانًا حيويًا للتجارة العالمية وإمدادات الطاقة، وقد أسهم هذا الموقع الجغرافي المتميز في جعل الصومال محورًا للتنافس بين القوى الإقليمية والدولية، فضلًا عن منحه دورًا فاعلاً في معادلة الأمن القومي العربي.

ومنذ استقلال الصومال في عام ١٩٦٠م، وجد الصومال نفسه أمام تحديات جسام تمثلت في بناء الدولة الوطنية وسط بيئة إقليمية مضطربة، وتوازنات دولية متغيرة بفعل الحرب الباردة. وقد سعت كل من مصر والمملكة العربية السعودية إلى دعم الصومال سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، كلٌّ وفق أولوياته ورؤيته للأمن القومي العربي، الأمر الذي جعل الأزمة الصومالية انعكاسًا لتقاطع السياسات والمصالح بين القاهرة والرياض.

وقد تجلت أهمية الصومال في السياسات المصرية-السعودية بوضوح خلال الأحداث المفصلية، مثل انضمامه إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٧٤م، وتورطه في حرب الأوجادين ضد إثيوبيا (١٩٧٧-١٩٧٨م)، وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على الأزمة الصومالية في العلاقات المصرية-السعودية خلال الفترة من ١٩٦٠م إلى ١٩٨٠م، وهي فترة شهدت تحولات سياسية كبرى في الصومال والمنطقة، فضلًا عن تغييرات جوهرية في ميزان القوى الدولي. وتهدف الدراسة إلى تحليل أبعاد هذه الأزمة، ورصد انعكاساتها على التعاون العربي في القرن الإفريقي، وتقييم الدور المصري-السعودي في التعامل معها.

المشكلة البحثية: على الرغم من الأهمية الاستراتيجية للصومال بالنسبة للأمن القومي العربي، وخاصة لمصر والمملكة العربية السعودية، فإن تفاعلات الأزمة الصومالية منذ استقلال البلاد عام ١٩٦٠م وحتى أوائل الثمانينيات كشفت عن وجود تباين في أولويات البلدين، واختلاف في أساليب التعاطي مع التطورات الداخلية والخارجية للصومال. وقد تداخلت هذه الأزمة مع سياق التنافس الدولي في القرن الإفريقي، وصعود النفوذ السوفيتي في المنطقة، مما أثر على مسار العلاقات المصرية-السعودية. ومن هنا تبرز مشكلة البحث في السؤال الرئيس: كيف أثرت

الأزمة الصومالية على العلاقات المصرية-السعودية خلال الفترة ١٩٦٠-١٩٨٠م، وما انعكاسات ذلك على الأمن العربي في القرن الإفريقي؟
ويهدف البحث إلى: تحليل الخلفية التاريخية للعلاقات المصرية-السعودية-الصومالية قبل وبعد استقلال الصومال، دراسة طبيعة التحديات التي واجهت الصومال في سياق التنافس الدولي والإقليمي. رصد أدوار مصر والسعودية في دعم الصومال سياسياً واقتصادياً وعسكرياً خلال الحرب الصومالية الاثيوبية، وتقييم أثر حرب الأوجادين (١٩٧٧-١٩٧٨) على مسار العلاقات المصرية-السعودية، استخلاص الدروس المستفادة من الأزمة الصومالية في مجال التنسيق العربي في القرن الإفريقي.

وينطلق البحث من مجموعة أسئلة فرعية تدور حول السؤال الرئيس، وأبرزها: ما الأبعاد الجيوسياسية للصومال وأثرها على حسابات الأمن القومي لمصر والسعودية، كيف تعاملت مصر والسعودية مع الصومال في سنواته الأولى بعد الاستقلال؟، ما أوجه الاتفاق والاختلاف في سياسات البلدين تجاه الصومال خلال السبعينيات، ما الدور الذي لعبته حرب الأوجادين في تعزيز أو إضعاف التنسيق المصري-السعودي؟، ما انعكاسات الأزمة الصومالية على الأمن العربي في البحر الأحمر والقرن الإفريقي؟

منهجية البحث: اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي-التحليلي، الذي يقوم على تتبع تطور الأحداث والوقائع في الفترة (١٩٦٠م - ١٩٨٠م)، وتحليلها في ضوء الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة، مع ربطها بالسياقين الإقليمي والدولي. بالإضافة إلى تحليل الوثائق الرسمية والتقارير الدبلوماسية، إلى جانب المصادر والمراجع الأكاديمية. كما تم توظيف المنهج المقارن عند دراسة أوجه التشابه والاختلاف في السياسات المصرية والسعودية تجاه الصومال.

أولاً: الأهمية الاستراتيجية للصومال والعلاقات التاريخية مع مصر والسعودية

يعتبر موقع الصومال ذا أهمية استراتيجية كبيرة للدول العربية، إذ يقع على مفترق طرق المحيط الهندي وخليج عدن، ويشكل المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وهو ما يؤثر بشكل مباشر على حركة الملاحة في قناة السويس الحيوية. هذا الموقع الجغرافي يمنح الصومال دوراً محورياً في أمن الممرات البحرية التي تمر عبرها

تجارة البترول، والتي تمثل أهمية اقتصادية كبرى للدول العربية. إلى جانب ذلك، تشكل السوق العربية الوجهة الرئيسية لصادرات الصومال من الأغنام والماشية، التي تعد من الركائز الأساسية للاقتصاد الصومالي^(١).

ترتبط العلاقات المصرية السعودية مع الصومال بجذور تاريخية عميقة، إذ استمر الدور المصري في الصومال عبر فترات زمنية طويلة. وقد عُرِفَت الصومال في العصور القديمة باسم "بلاد بونت"، وشهدت العلاقات بين الجانبين نشاطاً ملحوظاً في عهد الدولة المصرية القديمة، ولاسيما في فترة حكم الملكة حتشبسوت (١٤٧٩-١٤٥٨ ق.م)، حيث قامت البعثات المصرية باستيراد اللبان والبخور من الصومال، في إطار تبادل تجاري وثقافي موثق بالرحلات البحرية والنقوش التاريخية. ومع انتشار الإسلام في كل من مصر والصومال، تجددت هذه الروابط وتوطدت، لتشمل مجالات دينية وتجارية وسياسية^(٢).

وتعود جذور العلاقة بين شبه الجزيرة العربية والصومال إلى العصور القديمة، إلا أنها شهدت تنامياً ملحوظاً مع بزوغ فجر الإسلام عام ٦١٠م. وقد أسهمت الصراعات السياسية والاختلافات الأيديولوجية، إلى جانب الكوارث البيئية التي ألمت بالجزيرة العربية، في دفع موجات متتابة من المهاجرين المسلمين نحو القرن الإفريقي، بحثاً عن الأمن والاستقرار، واستغلالاً للفرص الاقتصادية المتاحة، فضلاً عن نشر الدعوة الإسلامية. ويتفق معظم المؤرخين على أن الإسلام وصل إلى الأراضي الصومالية عن طريق التجارة والهجرة خلال القرن الأول الهجري (القرن السابع-الثامن الميلادي)، وهو ما تؤكد الشواهد التاريخية والآثار الإسلامية المبكرة في السواحل الصومالية^(٣).

(١) عبد الله الجعفري: الأمن البحري في البحر الأحمر والخليج العربي: تحديات وآفاق مركز الخليج للدراسات والبحوث، الرياض، ٢٠١٥، ص. ١٤٢، عبد العزيز علي عيد: الصومال وجهود المصالحة الإقليمية في الفترة بين ١٩٩٠ - ٢٠٠٥م، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، الخرطوم، ٢٠١٧، ص. ١٠٩.

(٢) احمد عبد القادر الزعبي، العلاقات العربية الأفريقية عبر العصور، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦، ص. ٢١٥-٢١٧؛ الامام الأمين لبشر: الموقع المشرفي الصومال وأثره على بناته السياسي، جامعة إفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية - مجلة دراسات الإفريقية - العدد ٣٤، ٢٠٠٥، ص. ٧٨.

(٣) أبو بكر: علي شيخ أحمد، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي، دار الأمانة للنشر، الرياض، ١٩٨٥م، ص. ٩؛ المهدي، أحمد. (٢٠٠١). الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا وأثرها الحضاري. القاهرة: دار المعارف. ص. ٥٥-٥٧، الزعبي، محمد عبد القادر.

وقد أسفرت تلك الهجرات عن تأسيس العديد من المدن الساحلية في إقليم بنادر؛ مثل: مقديشو ومركه وبراوي وورشخ في جنوب الصومال، ومدن أخرى في الجزء الشمالي من الصومال. وبذلك تعززت العلاقات بين الصومال خلال الخلافة الإسلامية، حيث سافر طلاب العلم الصوماليون إلى مصر للدراسة في الحلقات العلمية بالمساجد المصرية، وبعد ذلك تخرج في الأزهر عديد من علماء الصومال المشهورين، وكذلك تخرج من مساجد مدن الحجاز العديد من علماء الصومال، مما يعكس عمق العلاقات الثقافية بين البلدين^(١).

ومع بداية القرن العشرين انحسرت العلاقات بين كلا من مصر ومملكة الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة والصومال من جهة أخرى بدرجة كبيرة نتيجة للهيمنة الاستعمارية^(٢)، حيث تم تقسيم الصومال إلى أقاليم تحت سيطرة أربع دول استعمارية هي بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وإثيوبيا. خلال تلك الفترة، تأثرت العلاقات بين الطرفين بتراكمات الهيمنة الاستعمارية، لكن الموروث العربي ظل قائمًا ومستمرًا في مكونات الثقافة الإسلامية الصومالية^(٣)، وخلال الفترة ما بين

(٢٠٠٦). العلاقات العربية الأفريقية عبر العصور. القاهرة: دار الفكر العربي. ص. ١٤٢-١٤٤.

(١) البشر الامام الأمين - الموقع المشرفي الصومال وأثره على بناته السياسي، جامعة افريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية - مجلة دراسات الإفريقية - العدد ٣٤ ، ٢٠٠٥، ص ٧٨.

(٢) في تاريخ العلاقات الدولية العربية والأفريقية والأوروبية، احتل القرن الإفريقي، وعلى رأسه الصومال، مكانة استراتيجية استثنائية بفعل موقعه الجغرافي عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، مما جعله محل اهتمام وصراع بين القوى الاستعمارية الكبرى. وبوجه خاص، كانت الصومال هدفًا مكرًا لـ الاستعمار البرتغالي، الذي سعى إلى فرض هيمنته على الطرق البحرية والمراكز التجارية في منطقة الشرق، وقد مثلت الأهداف الاقتصادية والدينية ركيزتين أساسيتين في التوجه البرتغالي نحو المنطقة؛ إذ كان الطموح البرتغالي يتمثل في احتكار النظام التجاري في الشرق، عبر السيطرة على تجارة البهارات والبخور والذهب القادمة من آسيا وشرق إفريقيا، في حين ارتبط الهدف الديني بمحاولة نشر الكاثوليكية كجزء من مشروع أوسع للتبشير المسيحي في مناطق النفوذ الإسلامي. وقد واجه هذا التوجه مقاومة إسلامية منظمة في الصومال والجزيرة العربية، مما أدى إلى تصعيد الصراع في البحر الأحمر وخليج عدن، لمزيد من التفاصيل ينظر

Marston, Thomas, Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878, New York, The Shoe String Press, Hamden Connecticut, 1961, p. 17

(٣) Jardine, Douglas, The Mad Mullah of Somaliland 1916-1921, New York, 1969. P.10

الحربين العالميتين بدأ الشعب الصومالي الكفاح لطرد المستعمرين، وأمدت المملكة العربية السعودية ومصر المناضلين الصوماليين بالسلاح والدعم المادي والعلمي^(١)، حيث لعبت حركة المقاومة الصومالية بقيادة السيد محمد عبد الله حسن^(٢)، الملقب بـ"الملا حسن"، دورًا كبيرًا في مواجهة مشاريع التقسيم والاحتلال، بعد أن تلقى الدعم بالمال والسلاح من مصر والحجاز^(٣).

ثانيا : الصومال تحت نظام الوصاية الدولية

بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) حدث تطورا في جوانب مختلفة نتيجة التقاء العمل السياسي من اجل التخلص من السيطرة الاستعمارية خلال عقدي الاربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين بين العرب والافارقة

(١) لبشر الامام الأمين - الموقع المشرفي الصومال وأثرة على بناته السياسي، جامعة افريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية - مجلة دراسات الأفريقية - العدد ٣٤ ، ٢٠٠٥، ص ٧٨.

(٢) يُعد السيد محمد عبد الله حسن (١٨٥٦م – ١٩٢٠م)، المعروف بلقب "الملا حسن"، أحد أبرز القادة الدينيين والسياسيين في شرق إفريقيا، وخاصة في الصومال، خلال مرحلة الاحتلال الاستعماري البريطاني والإيطالي. وُلد في إقليم نوجال شمال الصومال، وتلقى تعليمه الديني في الزوايا الصوفية، وتأثر بشكل خاص بالطريقة الصالحية ذات النزعة الإصلاحية المتشددة، برز السيد محمد كزعيم لحركة المقاومة الإسلامية الصومالية ضد الاستعمار البريطاني في منطقة أرض الصومال، وأطلق عليه البريطانيون لقب "الملا المجنون" (Mad Mullah)، بينما عُرف لدى أتباعه بـ "الإمام" و"المجاهد"، وأسّس دولة الدراويش (Dervish State) في بداية القرن العشرين الكيلادي، واتخذ من تليح (Taleh) عاصمة له، وقاد مقاومة استمرت لأكثر من ٢٠ عاماً، تكبدت فيها القوى الاستعمارية خسائر كبيرة، قبل أن تنتهي حركته بوفاته عام ١٩٢٠. انظر أبو بكر، محمد عبد الله، تاريخ الصومال السياسي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٠١-١١٥.

Lewis, I.M. A Modern History of the Somali: Nation and State in the Horn of Africa. Oxford: James Currey, 2002, pp. 79–95, Mukhtar, Mohamed Haji. Historical Dictionary of Somalia. Scarecrow Press, 2003, pp. 205–207.

(٣) إبراهيم، عبد القادر محمد، المقاومة الوطنية في الصومال ضد الاستعمار. مقديشو: دار الصومال للنشر، ١٩٨٥، ص ٨٧-٨٩.

Jardine, Douglas, The Mad Mullah of Somaliland 1916-1921, New York, 1969. P.10

والتقى العمل الجماعي بمحاولة الخروج من دائرة الهيمنة الاستعمارية بشكل ادى الى تنشيط العلاقات الثنائية بين الطرفين عبر منظمة الجامعة العربية^(١)، في عام ١٩٥٠، أصدر مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة قرارًا يقضي بتكليف إيطاليا بمهمة الوصاية على الصومال الجنوبي، الذي كان سابقًا مستعمرة إيطالية، لمدة عشر سنوات تنتهي بحلول عام ١٩٦٠، وذلك بموجب المادة ٧٧ من ميثاق الأمم المتحدة. وقد جاء هذا القرار في إطار نظام الوصاية الذي أنشأته المنظمة الدولية لمعالجة أوضاع الأقاليم التي كانت تحت الانتداب أو الاحتلال بعد الحرب العالمية الثانية، بهدف تهيئتها للاستقلال الذاتي أو الكامل^(٢).

تمثلت الأهداف الرئيسية لهذا النظام في تمكين الصومال من الاستعداد لممارسة السيادة الكاملة من خلال برامج تنموية شاملة في مجالات التعليم، والصحة العامة، والإدارة، والبنية التحتية، والتخطيط الاقتصادي. وبموجب اتفاقية الوصاية، أنيطت بإيطاليا مهام إدارة الشؤون الداخلية للصومال تحت إشراف مباشر من مجلس الوصاية، مع ضرورة تقديم تقارير دورية عن التقدم المحرز في إعداد البلاد للاستقلال^(٣).

ورغم أن إيطاليا كانت الدولة التي استعمرت الصومال سابقًا، فقد تم قبول وصايتها بشرط التزامها التام بمبادئ الأمم المتحدة في دعم حق تقرير المصير للشعوب، وتقديم ضمانات بعدم العودة إلى الممارسات الاستعمارية القديمة^(٤). وقد واجهت فترة الوصاية تحديات كبيرة، من بينها ضعف البنية التحتية وقلة الكوادر

(١) مهدي، سؤدد كاظم، السياسة الخارجية السعودية تجاه الصومال وأثرها على منطقة القرن الأفريقي، ١٩٦٠-٢٠١٨، عدد ٨٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٢٣، ص ٣١.

(2) United Nations Trusteeship Council. Report on Italian Trusteeship in Somalia. New York: UN Publications, 1950, p. 3.

(3) Laitin, David D. & Samatar, Said S. Somalia: Nation in Search of a State. Boulder, CO: Westview Press, 1987, p. 45.

(٤) يوسف، أحمد عبد الله. تاريخ الصومال الحديث والمعاصر. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١، ص ٢١٤-٢١٦.

الوطنية، إلا أنها ساهمت في إنشاء مؤسسات تمهّد لقيام الدولة الصومالية الحديثة عام ١٩٦٠^(١).

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر، برز تحول ملحوظ في توجهات السياسة الخارجية المصرية، خصوصًا في ظل قيادة الرئيس جمال عبد الناصر، الذي تبنت سياسة مناهضة للاستعمار، وسعى إلى دعم حركات التحرر الوطني في إفريقيا وآسيا. وقد أولت مصر اهتمامًا خاصًا بالصومال الذي كان يبرز تحت الوصاية الإيطالية، إدراكًا لأهمية موقعه الجيوسياسي في القرن الإفريقي، ودعمًا لحقه في تقرير المصير^(٢).

في هذا الإطار، أرسلت مصر مندوبًا دبلوماسيًا إلى الصومال هو كمال الدين صلاح^(٣)، الذي لعب دورًا بالغ التأثير في دعم الهوية الثقافية والدينية للصوماليين. إذ عمل على نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وساهم في تحفيز الوعي الوطني ومقاومة النفوذ الاستعماري عبر وسائل متعددة، ما جعله يحظى بمكانة مرموقة بين الرموز الوطنية في الذاكرة الصومالية^(٤). غير أن نشاطه أثار

(1) Samatar, Abdi Ismail. The State and Rural Transformation in Northern Somalia, 1884–1986. Madison: University of Wisconsin Press, 1992, p. 81.

(٢) محمد، محمد نجيب. جمال عبد الناصر وحركات التحرر الإفريقية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩، ص ١٦٥.

(٣) محمد كمال الدين صلاح (٢٨ مايو ١٩١٠ – ١٦ أبريل ١٩٥٧) كان دبلوماسيًا مصريًا مرموقًا تم تعيينه في عام ١٩٥٤ مندوبًا لمصر في المجلس الاستشاري لمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة في الصومال (الوصاية الإيطالية)، بالتعاون مع ممثلين من الفلبين وكولومبيا. وقد أوكل إليه الإشراف على عملية انتقال الصومال من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الاستقلال الوطني، لقد تبوأ صلاح هذا المنصب في لحظة مفصلية للحركة الإفريقية من أجل التحرر، فقام بإطلاق مبادرات ثقافية وتعليمية داخل الصومال وساند نشطاء الحركة الوطنية الصومالية، ناشرًا خطابًا يستنهض الوعي وترابط الشعوب الإفريقية – العربية، ويُعدّ ثاني دبلوماسي مصري يُقتل أثناء تأدية واجبه بالخارج، إذ نُقذ فيه هجوم غادر في ١٦ أبريل ١٩٥٧ أمام مقر إقامته في مقديشو؛ إذ طعن بعدة طعنات بسكين، ونُقل إلى المستشفى لكنه فارق الحياة بعد وصوله بفترة وجيزة.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD

(٤) الأمين عبد الرزاق ادم: التدخلات الخارجية وأثرها على الاستقرار في الصومال (١٩٩١ – ٢٠٠٢)، شركة مطابع السودان، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ٨١.

غضب السلطات الإيطالية، التي رأت فيه تهديداً مباشراً لمصالحها في الإقليم، مما أدى إلى اغتياله على يد أحد العملاء المحليين في ١٧ أبريل ١٩٥٧^(١).

إلى جانب الدور السياسي، اتخذ الدعم المصري بُعداً تعليمياً وتنموياً. فقد أرسلت وزارة التربية والتعليم المصرية بعثات تعليمية واسعة إلى المدن الصومالية، شملت: مقديشو، كساميو، بيدوا، بلدوين، مركا، جلكعيو وبراو، حيث تم تأسيس مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية (علمية وأدبية). وقُرت هذه البعثات الكوادر التعليمية المصرية والكتب المدرسية مجاناً، وأسهمت في رفع مستوى التعليم باللغة العربية وتعزيز الروابط الثقافية مع العالم العربي، وهو ما اعتُبر تمهيداً مهماً لاستقلال الصومال عام ١٩٦٠^(٢).

في خضم التحولات الكبرى التي شهدتها القارة الإفريقية في خمسينيات القرن العشرين، بادرت جامعة الدول العربية بإصدار مجموعة من القرارات خلال الفترة ١٩٥٧-١٩٥٩، أكدت فيها على ضرورة تعزيز التعاون العربي-الإفريقي، لاسيما في الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وقد جاءت هذه المبادرات في سياق تزايد الوعي القومي، وضرورة بناء تحالفات إقليمية تستند إلى الروابط التاريخية والثقافية والدينية المشتركة بين الشعوب العربية والأفريقية^(٣).

وفي عام ١٩٦٠، أصدرت الجامعة قراراً آخر رحبت فيه بالدول الإفريقية التي حصلت على استقلالها حديثاً، ومن بينها جمهورية الصومال الديمقراطية، التي نالت استقلالها في ١ يوليو ١٩٦٠م، مؤكدة على أهمية دمج هذه الدول في البنية الإقليمية العربية كجزء من مشروع التحالف العربي-الإفريقي الساعي إلى تحقيق الاستقرار ومواجهة الامتدادات الاستعمارية المستمرة^(٤).

(١) الشيخ، عبد الله عبد الرحمن. العلاقات المصرية الصومالية: جذورها وتطورها حتى الاستقلال. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠١٤، ص ٢٣٣؛ عيسى، حسن عبد الله. شهداء الدبلوماسية المصرية. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٨، ص ٧٤.

(٢) أبو المجد، عبد العظيم، التعليم في الصومال: دراسة تاريخية. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، ١٩٨٧، ص ١١٢-١١٥.

(٣) مهدي، سؤدد كاظم، السياسة الخارجية السعودية تجاه الصومال وأثرها على منطقة القرن الأفريقي، ١٩٦٠-٢٠١٨، عدد ٨٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٢٣، ص ٣١.

(٤) الشراقي، حسن. العلاقات العربية الإفريقية: الأبعاد والدوافع، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية، ١٩٩٤، ص ١١٢.

غير أن هذه المرحلة الانتقالية لم تكن خالية من التحديات؛ فقد واجهت الدول المستقلة حديثاً، ومنها الصومال، إرثاً استعماريًا مثنقاً بالتبعية الاقتصادية والسياسية. وفي ظل تصاعد التنافس بين المعسكرين الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة، والاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي، أصبحت منطقة القرن الإفريقي مجالاً لصراع النفوذ الدولي^(١). وهو ما انعكس على العلاقات السعودية-الصومالية، التي اتسمت بحالة من التآرجح وعدم الاستقرار، بفعل تباين مواقف الدول العربية من القضايا الإقليمية، وخاصة النزاعات المرتبطة بالحرب الأهلية اليمنية والخلافات الأيديولوجية بين الأنظمة العربية^(٢).

ثالثاً: الحرب الحدودية بين الصومالية الإثيوبية عام ١٩٦٤

بعد استقلال الصومال في الأول من يوليو ١٩٦٠، واجهت الدولة الجديدة تحدياً كبيراً تمثل في بناء مؤسساتها الوطنية، وعلى رأسها المؤسسة العسكرية، وقد اصطدمت هذه المساعي برفض القوى الاستعمارية، لاسيما إيطاليا وبريطانيا، تزويد الجيش الصومالي الناشئ بالسلاح أو تقديم أي دعم لوجستي يمكن أن يعزز من استقلالية القرار الوطني. في هذا السياق، برز الدور المصري باعتباره حاسماً ومحورياً في دعم قدرات الصومال الدفاعية^(٣).

فقد قامت الحكومة المصرية، في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، بإمداد الجيش الصومالي بالأسلحة الخفيفة والبنادق، والعربات المدرعة، إلى جانب تقديم الدعم اللوجستي والتقني من خلال إرسال الخبراء العسكريين والأطباء والمدرسين. كما تم فتح أبواب الكليات العسكرية المصرية للضباط والجنود الصوماليين، مما أسهم في إعداد كوادر وطنية مدربة ومؤهلة^(٤).

(١) عبد السلام ابراهيم البغدادي، البعد الايجابي في العلاقات العربية الأفريقية والتعددية الاثنية ترابط ثقافي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ٢٠١٣، ص ٢٦
(٢) يونس، عبد الله. السياسة العربية في إفريقيا: دراسة في توجهات القوى الإقليمية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص ١٩٥.
(٣) الأمين عبد الرازق ادم: التدخلات الخارجية وأثرها على الاستقرار في الصومال (١٩٩١ - ٢٠٠٢)، شركة مطابع السودان، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ١٧١.

(٤) Daily News Egypt. Egypt-Somalia enduring ties: A history of support and cooperation, 2024

وعندما اندلعت الحرب الحدودية بين الصومال وإثيوبيا عام ١٩٦٤م، كان الجزء الأكبر من العتاد المستخدم في القتال ذا أصل مصري، في دلالة واضحة على عمق التعاون العسكري بين البلدين. وإلى جانب الدعم العسكري، قدمت مصر مساعدات إنمائية متعددة شملت مجالات الإدارة والتعليم والصحة، مما عزز من حضورها السياسي والثقافي في الصومال^(١).

غير أن هذه الجهود لم تُكَلَّل بإقامة تمثيل دبلوماسي كامل أو تبادل السفارات بين البلدين، وذلك بسبب تداعيات الحرب الأهلية اليمنية (١٩٦٢-١٩٦٧)، التي أدت إلى انقسام واضح في الصف العربي. فقد دعمت مصر الجمهورية اليمنية سياسياً وعسكرياً، وهو ما لقي تأييداً من بعض الدول العربية ذات التوجه القومي مثل سوريا والصومال، في حين وقفت المملكة العربية السعودية، إلى جانب الكويت وإثيوبيا، في معسكر المعارضة^(٢)، دعماً للنظام الملكي اليمني. هذا الانقسام في المواقف عطل محاولات التقارب بين الرياض ومقديشو، حيث طغت الاعتبارات الجيوسياسية والتحالفات الإقليمية على مسار العلاقات الثنائية في تلك المرحلة^(٣).

في أعقاب استقلال الصومال عام ١٩٦٠، بدأت المملكة العربية السعودية في صياغة ملامح سياستها تجاه منطقة القرن الإفريقي ضمن منظور أوسع يتصل بالأمن الإقليمي والمصالح الاستراتيجية في البحر الأحمر^(٤). وفي هذا السياق، جاءت زيارة الملك فيصل بن عبد العزيز إلى الصومال عام ١٩٦٢، كجزء من جولة إقليمية شملت عدداً من الدول الإفريقية حديثة الاستقلال^(٥)، وقد اعتُبرت هذه

(١) ادم، الأمين عبد الرازق: التدخلات الخارجية وأثرها على الاستقرار في الصومال (١٩٩١ - ٢٠٠٢)، شركة مطابع السودان، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ١٧١.

(٢) Verhoeven Harry, The Gulf and the Horn: Changing Geographies of Security Interdependence and Competing Visions of Regional Order, Civil Wars, Volume 20, Issue 3, 2018, P 340

(٣) القادري، أحمد يوسف. السياسة السعودية في إفريقيا: دراسة في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية. الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١، ص ١٧٨.

(٤) Partrick Neil Saudi Arabian foreign policy conflict and cooperation I.B. Tauris & Co. Ltd. New York 2016.p.96

(٥) الزركلي، خير الدين. الأعلام: دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٨٤، ج٧، ص ٣١٢.

الزيارة بمثابة مبادرة دبلوماسية لتأسيس علاقات رسمية بين المملكة وجمهورية الصومال الديمقراطية^(١).

كان لهذه الزيارة رمزية خاصة في ظل التحولات الجيوسياسية التي شهدتها العالم العربي والأفريقي آنذاك، حيث سعت السعودية إلى مد جسور التعاون مع الدول الإفريقية من منطلقات دينية وسياسية واقتصادية. غير أن العلاقات بين البلدين لم تصل إلى مرحلة التمثيل الدبلوماسي الكامل وتبادل السفارات خلال تلك الفترة، وذلك بسبب تداعيات الحرب الأهلية في اليمن (١٩٦٢-١٩٦٧)، والتي ألفت بظلالها على العلاقات العربية، وخلقت انقسامات بين الدول العربية حول الموقف من تلك الحرب، إذ دعمت مصر النظام الجمهوري في اليمن، بينما وقفت السعودية إلى جانب الملكيين^(٢).

وقد انحازت الصومال إلى الموقف المصري، بحكم الروابط الثقافية والتاريخية والدينية، وهو ما أثر سلبيًا على تسريع وتيرة التقارب السياسي بين مقديشو والرياض خلال النصف الأول من الستينيات. ومع ذلك، لم تنقطع أشكال الدعم الرمزي والديني التي قدمتها المملكة للصومال في تلك المرحلة، بل ظلت حاضرة عبر القنوات غير الرسمية والمؤسسات الإسلامية^(٣).

كانت الصومال بحكم موقعها الاستراتيجي المهم ميدانًا مهمًا من ميادين التنافس الدولي في مرحلة الحرب الباردة عندما أصبحت نموذجًا من ميادين النفوذ بين المعسكرين المتحاربين، فقد عقدت الصومال معاهدة صداقة مع السوفييت في عام ١٩٦٣ تنازلت بموجبها على ميناء بربرة مقابل حصولها على تسليح الجيش^(٤) كان من الطبيعي ان يمثل التحالف العسكري بين الصومال والسوفييت عام ١٩٦٣

(١) الأمين عبد الرزاق ادم: التدخلات الخارجية واثرها على الاستقرار في الصومال (١٩٩١ - ٢٠٠٢)، ٢٠٠٦، شركة مطابع السودان، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ٩١.

(٢) عثمان محمد عثمان، السياسة السعودية في القرن الإفريقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٢٣؛ عويس، حسن مكي، الصومال الكبير: دراسة في الجغرافيا السياسية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ص ٢٠٧.

(٣) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، مع الصومال: ملامح مرحلة ومواقف رجال، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ٢٠٠٠، ص ١٥١.

(٤) Menkhaus Ken Somalia and the Horn of Africa, World Bank, Washington, DC. 2011.p.15

والانقلاب العسكري في عام ١٩٦٩^(١) بقيادة محمد سياد بري (١٩٦٩-١٩٩١) رئيس الصومال الذي اتخذ من الاشتراكية منهجا لحكمه ، نقطة تحول مهمة في السياسة الخارجية السعودية تجاه الصومال، التي كما يصفها المسؤولون في الإدارة السعودية لاعتبارات أمنية تنبثق من مخاوف المملكة على أمنها الوطني^(٢)، لذلك لم تشهد العلاقات السعودية الصومالية الانجاز بالمستوى المطلوب^(٣).

(١) شهدت الصومال في ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ تحولاً جذرياً في مسارها السياسي، عندما نفذ الجيش انقلاباً عسكرياً بقيادة اللواء محمد سياد بري، أطاح بالحكومة المدنية المنتخبة عقب اغتيال الرئيس عبد الرشيد علي شارماركي. وجاء هذا الانقلاب في سياق سياسي يتسم باضطراب داخلي وتنافس حزبي، حيث اتسم النظام السياسي آنذاك بالفشل في معالجة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وانتشار الفساد والشلل البرلماني، ما وفر مبرراً للتدخل العسكري كبديل "منقذ"، وقد أعلن المجلس الثوري الأعلى، الذي تشكل عقب الانقلاب، تعليق العمل بالدستور وحلّ البرلمان والأحزاب السياسية، وتبنى سياسة اشتراكية ذات طابع قومي، مستنداً إلى فلسفة "الاشتراكية العلمية" المتأثرة بالتجربة الماركسية، مع دمج الخصوصية الصومالية الدينية والثقافية، وهو ما أطلق عليه لاحقاً "الاشتراكية الإسلامية، ومع تولي سياد بري الحكم، بدأت الصومال في بناء نظام مركزي قوي ركّز على التعليم وتعميم اللغة الصومالية المكتوبة لأول مرة بالحروف اللاتينية، وإطلاق حملات وطنية لمحو الأمية. إلا أن النظام العسكري، رغم شعاراته التقدمية، اتجه إلى ترسيخ السلطوية وتهميش المعارضة، ما أدى لاحقاً إلى نشوء حركات تمرد وصراع أهلي امتد لعقود. محمد سعيد سامتر، الصومال: الدولة والمجتمع والسلطة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٧٨.

M. Lewis, A Modern History of the Somali: Nation and State in the Horn of Africa, Ohio University Press, 2002, p. 230, David Laitin & Said S. Samatar, Somalia: Nation in Search of a State, Westview Press, 1987, p. 105.

(٢) هذا مع زيادة مناطق النفوذ السوفييتي في عدن وميناء بربره في الصومال كركيزه لها في منطقة البحر الاحمر وهو ما كان يهدد خطوط نقل النفط وموانئ السعودية المطلّة على البحر الاحمر، لذلك لم تشهد العلاقات السعودية الصومالية الانجاز بالمستوى المطلوب. مهدي، سؤدد كاظم، السياسة الخارجية السعودية تجاه الصومال وأثرها على منطقة القرن الأفريقي، ١٩٦٠-٢٠١٨، عدد ٨٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٢٣، ص ٣٣.

(٣) مهدي، سؤدد كاظم، السياسة الخارجية السعودية تجاه الصومال وأثرها على منطقة القرن الأفريقي، ١٩٦٠-٢٠١٨، عدد ٨٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٢٣، ص ٣٣.

رابعاً: الانقلاب العسكري في الصومال عام ١٩٦٩م

أما العلاقات المصرية الصومالية فاستمرت قوية بين البلدين حتى مجيء الانقلاب العسكري في الصومال عام ١٩٦٩م والذي كان اشتراكياً مالياً للاتحاد السوفيتي^(١)، حيث ضعفت العلاقة بعد وفاة جمال عبد الناصر في عام ١٩٧٠م بين مصر والصومال خاصة بعد تدهور علاقة مصر بالمعسكر الاشتراكي في عهد الرئيس السادات^(٢).

ساهم الاستقطاب الدولي الذي افرزته الحرب الباردة والتنافس الدولي على منطقة القرن الإفريقي في ظهور التحالفات، وظهر ذلك بوضوح عندما أطاح بحكم الامبراطور هيلا سيلا سي منغستو هيلا ميريام (١٩٧٤-١٩٩١)^(٣) الذي أعلن الاشتراكية منهجا لحكمه في عام ١٩٧٤^(٤).

في هذا السياق، بدأت العلاقات المصرية-الصومالية تشهد تحسناً ملحوظاً، حيث وقفت مصر إلى جانب الصومال، وقدمت له الدعم السياسي والعسكري، بما في ذلك إرسال مساعدات عسكرية وخبراء، في إطار موقف قومي مناهض للتوسع الماركسي في القرن الإفريقي^(٥).

شهدت السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية تحولاً ملحوظاً بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، خاصة تجاه منطقة القرن الإفريقي، وعلى رأسها الصومال.

(١) اليسع عبد الرحمن الهادي: الأزمة الصومالية والتدخلات الخارجية - بحث غير منشور - الخرطوم ٢٠٠١ ص ٢٨ ١٧١

(٢) مجموعة مؤلفين: العرب والقرن الإفريقي جدالية الجوار والانتماء، المركز العربي للأبحاث والدراسات، الدوحة، ٢٠١٣، ص ١٧٨.

(٣) ظهر نظام "المنفستو" في إثيوبيا عقب الانقلاب العسكري عام ١٩٧٤ الذي أطاح بالإمبراطور هيلا سيلاسي، حيث استولى على السلطة مجلس عسكري يُعرف بـ"الدرغ" (Derg)، برئاسة العقيد منغستو هايلي مريام. وقد تبنى هذا النظام أيديولوجيا ماركسية لينينية، وأعلن عن برنامج "الثورة الاشتراكية الإثيوبية"، المعروف باسم "المنفستو" (The Ethiopian Socialist Manifesto) في عام ١٩٧٦، كوثيقة سياسية توّطرت لوجه الدولة الجديد تحت شعار "إثيوبيا للأثيوبيين العاملين".

Keller, Edmond J., Revolutionary Ethiopia: From Empire to People's Republic, Indiana University Press, 1991, p. 110

(٤) Madan .M.Sauldie , Ethiopia Dawn of the Red Star, New York, 19 , p21482

(٥) Shinn, David H., and Eisenman, Joshua. China and Africa: A Century of Engagement. University of Pennsylvania Press, 2012, p. 137.

فقد أدركت القيادة السعودية الأهمية الجيوسياسية المتزايدة لهذه المنطقة في ظل احتدام التنافس الدولي والإقليمي^(١)، وخصوصاً مع تنامي العلاقات الإثيوبية-الإسرائيلية التي مثلت تهديداً مباشراً للأمن القومي العربي. في هذا السياق، وظفت المملكة النفط كسلاح سياسي فاعل، ضمن منظومة عربية أوسع هدفت إلى الحد من النفوذ الإسرائيلي في القارة الإفريقية^(٢).

وعلى هذا شهدت العلاقات السعودية-الصومالية تفاعلاً إيجابياً في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، خاصة بعد قرار المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل في عام ١٩٧٣، والذي مثل نقطة تحول في صعود الدور الإقليمي للمملكة العربية السعودية. ففي ظل الطفرة النفطية، بدأت المملكة العربية السعودية توسعة نفوذها الاقتصادي والدبلوماسي في العالمين العربي والإفريقي، وسعت إلى كسب تأييد الدول الإفريقية عبر تقديم مساعدات مالية وتنموية سخية^(٣).

وتزامناً مع هذه التحولات، انتهجت الصومال سياسة انفتاح على العالم العربي، تُوجت ذلك بانضمامها إلى جامعة الدول العربية في فبراير ١٩٧٤، وهو ما فتح الباب أمام تعزيز التعاون الثنائي مع السعودية ودول عربية أخرى. وقد شكّل انضمام الصومال أيضاً إلى "جمعية التعاون العربي الإفريقي" لاحقاً كان لها الأثر والاسهام الفاعل في تنشيط الروابط الثنائية بين الجانبين، تعزيز هذا التقارب، ودعم قضايا التنمية والسيادة الصومالية ضمن إطار عربي-إفريقي مشترك^(٤).

(١) الندوي، مهدي عبد الواحد، السياسة الخارجية السعودية تجاه القارة الإفريقية، اثيوبيا والصومال أنموذجاً، مجلة العلوم السياسية، العدد (٦٠)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٢٠، ص ٣٠٣، ٣٠٤، الرفاعي، أحمد يوسف، السياسة الخارجية السعودية في عالم متغير: دراسة في محددات الدور السعودي تجاه قضايا العالم العربي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨، ص ٣٠٣..

(٢) Lesch, Ann Mosely. "Saudi Arabia and the Palestine Problem." Middle East Journal, vol. 34, no. 1, 1980, pp. 34-45.

(٣) الرفاعي، أحمد يوسف، السياسة الخارجية السعودية في عالم متغير: دراسة في محددات الدور السعودي تجاه قضايا العالم العربي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٤) القرني، عبد الله بن محمد، السياسة الخارجية السعودية تجاه دول القرن الإفريقي ١٩٧١-٢٠٠١، أطروحة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥، ص ١٢٢.

وفي السياق ذاته، لعبت المملكة العربية دورًا محوريًا في دعم الصومال على الساحة العربية، لاسيما خلال مؤتمر القمة العربي الذي عُقد في الرياض في أكتوبر ١٩٧٤، والذي أقر عقد قمة عربية-إفريقية لاحقة بالقاهرة في أبريل ١٩٧٧. وقد كانت القضية الصومالية من أبرز القضايا المطروحة في هذه القمة، حيث دعمت السعودية قرار الجامعة العربية المؤيد للصومال في صراعه مع إثيوبيا خلال حرب الأوجادين (١٩٧٧-١٩٧٨)، في موقف يعكس تنامي البعد السياسي والدبلوماسي للدور السعودي في منطقة القرن الإفريقي^(١).

وقد تبلور هذا الدور بشكل أوضح عندما تمكنت المملكة العربية السعودية، بدعم إسلامي واسع، من تمرير القرار رقم ٣٣٧٩ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٧٥، الذي اعتبر "الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري"^(٢). أدى هذا القرار إلى تسارع وتيرة قطع الدول الإفريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، الأمر الذي عزز موقع السعودية ودول الخليج باعتبارها راعية لحركات التحرر الوطني في شرق إفريقيا وعلى طول الساحل الغربي للبحر الأحمر، في مواجهة التوسع الإسرائيلي^(٣).

خامساً: حرب الأوجادين (١٩٧٧-١٩٧٨):

بعد سقوط الإمبراطور الإثيوبي هيلا سيلاسي عام ١٩٧٤، وما تبعه من اضطرابات سياسية داخلية في إثيوبيا^(٤). رأت الصومال بقيادة محمد سياد بري أن

(١) أبوبكر، يوسف آدم، العلاقات العربية الإفريقية: دراسة في تطورها السياسي والاقتصادي (١٩٥٦-٢٠٠٠)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٨١.

(٢) United Nations General Assembly. Resolution 3379. "Elimination of all forms of racial discrimination." Adopted on 10 November 1975.

(٣) مهدي، سوّدد كاظم، السياسة الخارجية السعودية تجاه الصومال وأثرها على منطقة القرن الإفريقي، ١٩٦٠-٢٠١٨، عدد ٨٢، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٢٣، ص ٣٣؛ أبوبكر، يوسف آدم، العلاقات العربية الإفريقية: دراسة في تطورها السياسي والاقتصادي (١٩٥٦-٢٠٠٠)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٨١.

(٤) مع تولّي نظام "الدرغ" (Derg) بقيادة منغستو هايلي مريام السلطة في إثيوبيا عام ١٩٧٤، وما تبعه من إعلان "المنفستو الاشتراكي" في عام ١٩٧٦، دخلت العلاقات الإثيوبية-الصومالية مرحلة صدام حاد، خاصة بعد أن تبنت أديس أبابا سياسات ماركسية صارمة

الفرصة قد حانت لتحقيق مشروعها القومي في توحيد الصوماليين، خاصة في إقليم أوجادين المتنازع عليه. وعلى الرغم من التحذيرات السوفييتية للصومال بعدم شن أي عمليات عسكرية، وفي تجاهل صريح لمبدأ "عدم المساس بالحدود الموروثة عن الاستعمار" الذي أقرته منظمة الوحدة الإفريقية، أقدم النظام الصومالي في عام ١٩٧٧ على شنّ هجوم عسكري على إثيوبيا. فيما عرف بحرب الأوجادين (١٩٧٧-١٩٧٨)، وقد حققت القوات الصومالية في البداية تقدماً سريعاً في المرتفعات الشرقية، إلا أن التحولات الإقليمية والدولية سرعان ما أدت إلى تغير موازين القوى، حيث تمكنت إثيوبيا من صد الهجوم الصومالي بعد تلقيها دعماً عسكرياً واسعاً من الاتحاد السوفيتي وكوبا، وتحولت الحرب إلى نكسة استراتيجية لنظام سياد بري^(١).

وعلى خلفية هذا الصراع، لجأت إثيوبيا إلى استراتيجية مضادة تمثلت في زعزعة الاستقرار الداخلي في الصومال، من خلال تقديم الدعم لحركات التمرد، وعلى رأسها الحركة الوطنية الصومالية (SNM) التي كانت تنشط في شمال البلاد، إضافة إلى دعم قبائل معارضة لحكم بري، ما أسهم في تأجيج النزاعات الداخلية^(٢).

في المقابل، أسهمت هذه التحولات في بروز نمط جديد في توجهات السياسة الخارجية لكل من جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية تجاه الصومال، حيث لعبا دوراً بارزاً في دعم الصومال سياسياً وعسكرياً، انطلاقاً من رؤيتهما الإستراتيجية الرامية إلى الحد من النفوذ الإثيوبي - المدعوم سوفييتياً والمتحالف مع إسرائيل - في منطقة القرن الإفريقي، والعمل على تأمين البحر

وتحالفت مع الاتحاد السوفيتي، وقد أدى هذا التحالف إلى تدهور العلاقات بين الصومال والاتحاد السوفيتي.

Tareke, Gebru. The Ethiopian Revolution: War in the Horn of Africa. New Haven, CT: Yale University Press, 2009, p. 237 - 239, Verhoeven Harry, op. ct, p. 330

(١) مجموعة مؤلفين: العرب والقرن الإفريقي جدالية الجوار والانتماء، المركز العربي للأبحاث والدراسات، الدوحة، ٢٠١٣، ص ١٧٨.

(٢) القرني، عبد الله بن محمد، السياسة الخارجية السعودية تجاه دول القرن الإفريقي ١٩٧١-٢٠٠١، أطروحة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥، ص ١٣٥ - ١٣٧.

الأحمر كبحيرة عربية-إسلامية. وفي هذا السياق، كثفت السعودية دعمها لجبهة التحرير الإريترية التي كانت تقاتل من أجل الاستقلال عن إثيوبيا، كما عززت من دعمها لحكومة سياد بري، سياسياً وعسكرياً، في سعيها لاستعادة إقليم أوجادين^(١)، وقد تجلّى الدعم المصري بوضوح في إمداد مصر للصومال بالأسلحة والمعدات العسكرية، إلى جانب نقل الذخائر وقطع الغيار عبر وسائل متعددة، أبرزها الطائرات والسفن البحرية؛ ففي اجتماع عقد في مقديشو بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٧٧، أطلع الملحق العسكري المصري، العقيد أحمد محمود عبد الحليم، السفير الأمريكي على تفاصيل دقيقة حول الدعم العسكري المصري، مشيراً إلى أن القاهرة قدّمت شحنتين من الأسلحة والذخيرة نُقلتا باستخدام طائرات C-130 الأمريكية، بالإضافة إلى إمدادات كبيرة من المدفعية والذخائر نُقلت بحراً إلى ميناء بربرة. كما وفرت مصر للحكومة الصومالية آنذاك قطع غيار للطائرات القتالية من طراز Mig-17 و Mig-21، إضافة إلى وجود فنيين مصريين لتدريب الكوادر الصومالية. وأن قرار إرسال قوات مصرية إلى الصومال لم يُحسم بعد، غير أن هناك نقاشات نشطة دارت في القاهرة حول هذا الموضوع^(٢).

وفي وقت لاحق، عبّر وزير الخارجية الإثيوبي خلال لقائه بمسؤولين أمريكيين بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٧٩ عن قلق حكومته إزاء رصد طائرات C-130 أمريكية الصنع، تحمل العلم المصري، تُستخدم في نقل الأسلحة إلى الصومال. هذا التطور اعتُبر بمثابة تأكيد غير مباشر على استمرار الدعم العسكري المصري، لا سيما في ضوء ما أكده الرئيس المصري محمد أنور السادات بنفسه، في مناسبتين: ٢٠ يونيو و ٢٢ يوليو، بشأن استخدام مصر لطائرات C-130 الأمريكية في دعم الصومال. كما أبلغ الملحق العسكري المصري في ٢٥ يوليو عن وصول هذه الطائرات بشكل علني، ما يشير إلى أن النشاط المصري لم يكن سرّياً أو محجوباً عن المجتمع الدولي^(٣).

(١) نفسه، ص ١٣٩.

(2) U.S. National Archives, US Department of State, Cable from US Embassy in Mogadishu, dated December 29, 1977, Secret., Egyptian Support for Somalia's Military Effort. December 29, 1977.

(3) US Department of State documents, US Embassy in Cairo cable to US Department of State in Washington, September 16, 1977, Egyptian

وفي سياق الدعم العربي الموجه للصومال خلال حرب الأوجادين، لم يقتصر التأييد على الجوانب العسكرية والدبلوماسية، بل امتد ليشمل دعماً اقتصادياً واسع النطاق، لعبت فيه المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية دوراً محورياً في تعزيز القدرة الصومالية على الصمود الاقتصادي خلال الحرب؛ بالمساعدات المباشرة، وكذلك من قبل "الصندوق السعودي للتنمية"^(١)، وصندوق أوبك للتنمية الدولية (OFID) ووفقاً للتقارير الرسمية، فقد بلغت قيمة التمويل المقدم من هذا الصندوق الأخير للصومال حوالي ٣١.٥ مليون دولار أمريكي^(٢)، ما شكّل دعماً حيويًا للميزانية العامة ولجهود الحكومة الصومالية في إدارة تبعات الحرب.

أما على الصعيد المصري، فقد تزامن الدعم الاقتصادي مع الدعم العسكري واللوجستي، إذ عملت مصر على تزويد الصومال بالإمدادات الضرورية من الذخائر والمعدات وقطع الغيار، فضلاً عن تدريب الفنيين والمستشارين. وقد شكّل هذا التعاون امتداداً للتوجه المصري نحو تعزيز مكانة الصومال كدولة عربية في مواجهة المشروع الإثيوبي-السوفيتي، وهو ما انعكس في مجمل المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي أرسلت إلى مقديشو^(٣).

وبهذا، شكّل التحالف المصري السعودي تجاه الأزمة الصومالية نموذجاً للتنسيق العربي المشترك، الذي لم يقتصر على الأبعاد السياسية والعسكرية، بل امتد ليشمل أبعاداً اقتصادية وتنموية ساعدت في تعزيز صمود الدولة الصومالية

Use of C-130 Aircraft to Transport Arms to Somalia, Secret, September 16, 1977.

(١) الصندوق السعودي للتنمية تقرير الصندوق السعودي للتنمية بمناسبة مرور ٣٥ عامًا على تأسيسه. الرياض: الصندوق السعودي للتنمية، ٢٠١٠، ص ٢٣.

(٢) مجموعة باحثين، كتاب العرب والقرن الإفريقي، جدلية الحوار والانتماء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٣، ص ص ٢٥١ - ٢٥٢. انظر أيضا

OPEC Fund for International Development. *Annual Report 1983*. Vienna: OFID Publications, 1983.

(٣) القرني، عبد الله بن محمد، السياسة الخارجية السعودية تجاه دول القرن الإفريقي ١٩٧١-٢٠٠١، أطروحة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥، ص ١٣٩؛ أوبكر، يوسف آدم، العلاقات العربية الإفريقية: دراسة في تطورها السياسي والاقتصادي (١٩٥٦-٢٠٠٠)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٨٩-١٩١.

خلال الحرب، ومواجهة الضغوط الناجمة عن تحول التوازنات الدولية والإقليمية في غير صالحها خلال نهاية النزاع.

ويري الباحث أن هذه المعطيات التاريخية تُظهر أن مصر والمملكة العربية السعودية لم تكن طرفًا صامتًا في تلك الحرب، بل مارستا دورًا مباشرًا وفاعلًا في دعم الصومال، في إطار الاصطفافات الإقليمية والدولية إبان الحرب الباردة، والتي وضعت إثيوبيا في المعسكر السوفيتي، في مقابل اصطفاف صومالي-عربي مدعوم من القاهرة والرياض وعواصم عربية أخرى.

الخاتمة

أظهرت دراسة الأزمة الصومالية في العلاقات المصرية-السعودية (١٩٦٠-١٩٨٢م) أن الصومال لم يكن مجرد دولة عربية حديثة الاستقلال تسعى لبناء مؤسساتها، بل كان أيضًا ساحة لتقاطع المصالح الإقليمية والدولية، وميدانًا لاختبار قدرة النظام العربي على العمل المشترك في بيئة استراتيجية شديدة الحساسية. وقد أكدت النتائج أن الموقع الجغرافي للصومال على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر جعل منه ركيزة أساسية في معادلة الأمن القومي لكل من مصر والمملكة العربية السعودية.

كما بيّن البحث أن العلاقات المصرية-السعودية تجاه الصومال تميزت بمزيج من التنسيق والتباين، حيث تلاقت الرؤى في دعم الصومال سياسيًا واقتصاديًا في بعض المراحل، خاصة عند انضمامه إلى جامعة الدول العربية، بينما ظهرت اختلافات واضحة في أسلوب التعامل مع الأزمات الكبرى مثل حرب الأوجادين، نتيجة لاختلاف أولويات كل طرف في سياق الحرب الباردة.

وتكشف الدراسة أن الأزمة الصومالية ساهمت في إبراز محدودية القدرة العربية على صياغة موقف موحد تجاه التحديات في القرن الإفريقي، إذ كان التنسيق الثنائي بين القاهرة والرياض يتأثر بالتغيرات الإقليمية والتحالفات الدولية أكثر مما يتأثر بالضرورات الجيوسياسية البحتة.

وانطلاقاً من هذه النتائج، توصي الدراسة بضرورة:

١. تعزيز آليات التنسيق العربي في مناطق التماس الاستراتيجي مثل القرن الإفريقي.

٢. تطوير رؤية أمنية عربية مشتركة للبحر الأحمر وباب المندب.

٣. الاستثمار في الدبلوماسية الوقائية لتجنب تحوّل الأزمات المحلية في الدول العربية والإفريقية إلى صراعات دولية مفتوحة.

وبذلك، فإن الأزمة الصومالية خلال فترة البحث تمثل نموذجاً مهماً لفهم ديناميات السياسة العربية في إفريقيا، ودليلاً على أن غياب الاستراتيجية الموحدة يجعل القضايا الإقليمية عرضة للتجاذبات الدولية، بما يهدد الأمن القومي العربي على المدى البعيد.